عماد الدين خليل

ملاحظات اساسية في تاريخ المجتمع الاسلامي
للدكتور عماد الدين خليل

معاصر هـ

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٢٦٤٢١
الطابع الزمني: ٢٠٢٣-٠٣-٢٠-١٢-٢٣-٥٦
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

١ ملاحظات اساسية في تاريخ المجتمع الاسلامي للدكتور عماد الدين خليل ٨

عن الكتاب

الكتاب: ملاحظات اساسية في تاريخ المجتمع الاسلامي للدكتور عماد الدين خليل
المؤلف: عماد الدين خليل
المصدر: الشاملة الذهبية

عن المؤلف

الدكتور عماد الدين خليل
من مواليد الموصل ـ العراق عام ١٩٣٩
• حصل على البكالوريوس (الليسانس) في الآداب بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية التربية ـ جامعة بغداد عام ١٩٦٢والماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جدا من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب ـ جامعة بغداد عام ١٩٦٥ عن رسالته الموسومة بـ (عماد الدين زنكي: ٤٨٧ - ٥٤١ ه / ١٠٩٤- ١١٤٦م) والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين الشمس في القاهرة عام ١٩٦٨عن رسالته الموسمية (الإمارات الارتقية في الجزائر الفراتية والشام : ٤٦٥ - ٨١٣ه / ١٠٧٢- ١٤١٠)
• عمل مشرفا على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام ١٩٦٨ - وعمل معيدا فمدرسا فأستاذا مساعدا في كلية آداب جامعة الموصل للأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧ عمل باحثا علميا ومديرا لقسم التراث ومديرا لمكتبة المتحف الحضاري في المؤسسة العامة للآثار والتراث/ المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل للأعوام ١٩٧٧- ١٩٨٧ حصل على الأستاذية عام ١٩٨٩ وعمل أستاذا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في اربيل للأعوام ١٩٨٧- ١٩٩٢ ثم في كلية تربية جامعة الموصل ١٩٩٢-٢٠٠٠م فكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي بالإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠-٢٠٠٢م فجامعة الزرقاء الأهلية/ الأردن عام ٢٠٠٣ م فكلية آداب جامعة الموصل ٢٠٠٣-٢٠٠٥م التي أعارت خدماته لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك/ الأردن حيث لا يزال يعمل هناك.
• شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الدولية العلمية والثقافية من بينها
١- المؤتمر الأول للتعليم الجامعي بغداد العراق ١٩٧١
٢- المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الدوحة قطر ١٩٧٩
٣- المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) عمان الأردن ١٩٨٠
٤- الندوة العالمية الثالثة للآثار والتراث بغداد العراق ١٩٨١
٥- ندوة حوار حول الأدب الإسلامي المدينة المنورة السعودية ١٩٨٢
٦- ندوة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية الزقازيق مصر ١٩٨٩
٧- ندوة المنهاجية وإسلامية المعرفة أكسفورد المملكة المتحدة ١٩٩٠
٨- الأسبوع الثقافي للمعهد العالمي وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية عمان الأردن ١٩٩٢
٩- المؤتمر العالمي الثاني حول سعيد النورسي وتجديد الفكر الإسلامي اسطنبول تركيا ١٩٩٢
١٠ـ ندوة مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر، فاس المغرب ١٩٩٣
١١ـ المؤتمر العالمي الثالث حول فكر سعيد النورسي اسطنبول تركيا ١٩٩٥
١٢ـ المؤتمر الثاني لجامعة الزرقاء الأهلية حول الأدب الإسلامي الواقع والطموح عمان/ الأردن ١٩٩٩
١٣ـ الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي، أغادير/ المغرب ٢٠٠١م
١٤ـ الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي، فاس/ المغرب ٢٠٠٤م
وشارك في إنجاز عدد من الأعمال العلمية لبعض المؤسسات ومنها:
١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ تونس
٢- مركز الدراسات الإسلامية/ أكسفورد
٣- المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ فيرجينيا
٤- الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الرياض
كما حاضر في عدد من الجامعيات والمؤسسات العربية والإسلامية والعالمية، منها:
١- جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض

٢- جامعة العين - الإمارات العربية المتحدة
٣- مركز الدراسات الإسلامية - أكسفورد
٤- جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية - أم درمان
٥- جامعة أم درمان - أم درمان
٦- الجامعة الأردنية - عمان
٧- جامعة صنعاء - صنعاء
٨- جامعة العلوم والتكنولوجيا - صنعاء
٩- جامعة الزرقاء الأهلية - عمان
١٠- جامعة جرش الأهلية - عمان
١١- جامعة قطر - الدوحة
١٢- مكتبة الأردن للمعهد العالمي للفكر الإسلامي - عمان
١٣- جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية - عمان
١٤- الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا
١٥- المجمع العالمي العراقي - بغداد
١٦- كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي
١٧- جامعة اليرموك - اربد
- شارك في صياغة مناهج التاريخ لعدد من الجامعات منها
١- جامعة العلوم والتكنلوجية - صنعاء
٢- الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا
٣- المعهد الأوربي للدراسات الإنسانية - فرنسا
- أنجز العديد من المواد العالمية في التاريخ والحضارة والفكر والادب للموسوعات العربية والإسلامية ومنها:
١- موسوعة دار الشروق - القاهرة (٤٠ مادة)
٢- الموسوعة العلمية المتطورة ـ مدريد(١٠ مواد)
٣- موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ـ القاهرة (٣٥ مادة)
٤- موسوعة مؤسسة الوقف التركية ـ اسطنبول (مادة واحدة)
٥- الموسوعة الدينية ـ بيروت (٦ مواد)
- شارك في عضوية اللجان الاستشارية لهيئات تحرير عدد من المجلات العلمية والفكرية المحكمة ومنها:
١- مجلة المسلم المعاصر ـ مصر
٢- مجلة الانسان المعاصر ـ لبنان
٣- مجلة المنعطف - المغرب
٤- مجلة اسلامية المعرفة - ماليزيا
٥- مجلة الدراسات الاسلامية - الباكستان
٦- مجلة التاريخ الاسلامي - الهند
• اشرف على العديد من الطلبة الماجستير والدكتوراه في التاريخ الاسلامي
• كتب عن اعماله عدد من رسائل الدبلوم العالمي والماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات العربية
• ترجمت بعض مؤلفاته الى عدد من اللغات وبخاصة الانكليزية والفرنسية والتركية والفارسية والكردية والاندنوسية
• نشر عشرات البحوث في العديد من المجلات العلمية والاكادمية والمحكمة منها:
سومر (بغداد) المؤرخ العربي (بغداد) المورد(بغداد) مجلة المجمع العالمي العراقي (بغداد) اداب الرافدين(الموصل) المسلم المعاصر (القاهرة) اسلامية المعرفة (ماليزيا) التجديد (ماليزيا) العلم والايمان (الخرطوم) مجلة جامعة ام القرى (مكة المكرمة) النعطف (المغرب) الانسان (باريس) الدراسات الاسلامية (باكستان) مجلة التاريخ الاسلامي (الهند) افاق الثقافة والتراث (الامارات العربية المتحدة) حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية (الدوحة) الافاق (عمان) نشر مئات المقالات والبحوث الثقافية والاعمال الادبية (دراسة وتنظيرا ونقدا وابداعا) فيما يقارب السبعين مجلة و صحيفة عربية واسلامية - عضو رابطة الاداب

الاسلامي العالمية - اختير عضوا في مجلس جامعة صلاح الدين - اربيل " العراق (١٩٨٩-١٩٩١) ومجلس جامعة الموصل - العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٥)م ممثلا عن التدريسيين - قيم كتابه (مدخل الى الحضارة الاسلامية) من قبل مؤسسة ارامكس ميديا واحدا من افضل عشرة كتب في العالم لعام ٢٠٠٥ م - متزوج منذ عام ١٩٧٢ وله ولد وابنتان وهواياته تنصب على المطالعة والرياضة ومشاهدة لعبات كرة القدم .

المؤلفات المشورة

اولا: في التاريخ ومناهجه وفلسفته

١- ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن بن عبد العزيز الدار العلمية بيروت - ١٩٧٠

٢- عماد الدين زنكي مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٢

٣- دراسة في السيرة مؤسسة الرسالة ودار النفائس بيروت - ١٩٧٤

٤- التفسير الاسلامي للتاريخ دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٥

٥- الحصار القاسي ملامح ماساتنا في افريقيا مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٨

٦- الامارات الارتقية في الجزيرة الفراتية والشام مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٨٠

٧- نور الدين محمود : الرجل والتجربة دار القلم دمشق -١٩٨١

٨- في التاريخ الاسلامي : فصول في المنهج والتحليل المكتب الاسلامي بيروت -١٩٨١

٩- المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي : عصر ولاة السلاجقة مكتبة المعارف الرياض - ١٩٨١ في الموصل

١٠- دراسة التاريخ المكتب الاسلامي بيروت - ١٩٨٣

١١- ابن خلدون اسلاميا المكتب الاسلامي بيروت -١٩٨٣

١٢-حول اعادة كتابة التاريخ الاسلامي دار الثقافة الدوحة - ١٩٨٦

١٣- المستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن في منهج دار الثقلفة الدوحة - ١٩٨٩ المستشرق البريطاني المعاصر : مونتغمري وات

١٤- تحليل للتاريخ الاسلامي ، اطار عام دار الثقافة الدوحة -١٩٩٠

١٥- المنظور التاريخي في فكر سيد قطب دار القلم بيروت - ١٩٩٤

١٦- نظرة الغرب الى الحاضر الاسلام ومستقبلية دار النفائس بيروت - ١٩٩٩

١٧- دليل التاريخ والحضارة في الاحاديث النبوية الشريفة مكتب الاردن للمعهد العالمي للفكر الاسلامي عمان -٢٠٠٠ بالاشتراك مع المهندس حسن الرزو

١٨- مدخل الى التاريخ والحضارة الاسلامية الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا - ٢٠٠١م

١٩- الوحدة والتنوع في التاريخ المسلمين دار الفكر دمشق -٢٠٠٢م

ثانيا : في الفكر الاسلامي

١- لعبة اليمين واليسار مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٢

٢- تهافت العلمانية مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٥

٣- مقابل في العدل الاجتماعي مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٨٧

٤- مع القران في عالمه الرحيب دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٩

٥- افاق قرانية دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٩

٦- كتابات على بوابة القرن الخامس عشر دار العلوم الرياض - ١٩٨٢
(بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس)

٧- كتابات اسلامية المكتب الاسلامي ومكتبة الحرمين الرياض - ١٩٨٢

٨- كتاب مدخل الى موقف القران الكريم من العلم مؤسسة بيروت - ١٩٨٣ الحديث

٩- العلم في مواجهة المادية : قراءة في كتاب مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٨٣ سوليفان : (حدود العلم)

١٠- حول اعادة تشكيل العقل المسلم كتاب الامة الدوحة - ١٩٨٣

١١- اضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٨٥

١٢- مؤشرات اسلامية في زمن السرعة مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٨٥

١٣- حوار في المعمار الكوني دار الثقافة الثقافة الدوحة - ١٩٨٧

١٤- في الرؤية الاسلامية دار الثقافة الدوحة - ١٩٨٨
١٥- مدخل الى اسلامية المعرفة المعهد العالمي للفكر الاسلامي فيرجينيا - ١٩٩١
١٦- قالوا في الاسلام الندوة العالمية للشباب الاسلامي الرياض - ١٩٩٢
١٧- رؤية اسلامية في قضايا معاصرة كتاب الامة الدوحة - ١٩٩٥
١٨- القران الكريم من منظور غربي دار الفرقان عمان - ١٩٩٦
١٩- الاسلام والوجه الاخر للفكر الغربي مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٩٧
٢٠- المراة والاسرة المسلمة من منظور غربي دار الفرقان عمان - ١٩٩٧
٢١- الرؤية الان: في هموم فلسطين والعالم منشورات فلسطين المسلمة لندن الاسلامي - ٢٠٠١م
٢٢- متابعات في الفكر والدعوة والتحديات دار الحكمة لندن - ٢٠٠٢م المعاصرة
٢٣- اولى ملاحم القرن مؤسسة الرسالة - ٢٠٠٢م
٢٤- مذكرات حول واقعة ١١ ايلول دار الفكر دمشق - ٢٠٠٣م
ثالثا : في الادب الاسلامي
•أ- التنظير
١- في النقد الاسلامي المعاصر مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٢م
٢- مدخل الى نظرية الادب الاسلامي مؤسسة الرسالة - ١٩٨٧م
٣- الغابات المستهدفة للاداب الاسلامي دار الضياء عمان - ٢٠٠٠م
ب- النقد
٤- محاولات جديدة في النقد الاسلامي مؤسسة الرسالة. ١٩٨١م.
٥- في النقد التطبيقي دار النشر عماند ١٩٩٨م
٦- متابعات في دائرة الادب الاسلامي مؤسسة الرسالة قيد النشر
ج- الدراسة الادبية
٧- الطبيعة في الفن الغربي والاسلامي مؤسسة الرسالة . ١٩٧٧م
٨- فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر مؤسسة الرسالة ١٩٧٧م
٩- الفن والعقيدة مؤسسة الرسالة ١٩٩٠م
١٠- (الكلمات) : رؤية جمالية في الفكر النورسي قيد النشر
د ـ الابداع
- المسرح
١١- الماسورون مؤسسة الرسالة ١٩٧٠م
١٢- معجزة في الضفة الغربية مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م
١٣- خمس مسرحيات اسلامية ذات فصل واحد مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م
١٤- المغول مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م
١٥- العبور

١ ملاحظات اساسية في تاريخ المجتمع الاسلامي للدكتور عماد الدين خليل

ملاحظات اساسية في تاريخ المجتمع الاسلامي
د. عماد الدين خليل
تشكل المجتمع الاسلامي الأول على عين الله ورسوله (ص) وكانت الخطوط الأساسية للتناقض لا تكمن في بنية هذا المجتمع، وإنما تمتد صوب الخارج، أي بينه وبين المجتمعات الجاهلية من حوله. فمثلاً لم يكن هنالك صراع بين الرجل والمرأة، أو الغني والفقير، بل بين المسلم وغير المسلم، وكان هذا يدفعه إلى مزيد من التوحد أفقياً وعمودياً.
في الحالة الأولى كان يزداد تماسكاً ووضوحاً بين أفراده كافة، وفي الحالة الثانية كان كل فرد من هؤلاء يسعى لمزيد من التحقق بالعقيدة الجديدة لكي يكون أكثر قدرة على التعبير عن مطالبها.
كانت هناك ـبطبيعة الحال ـ مساحات في النسيج الإجتماعي لم تقدر ـلسبب أو آخر ـ على التواؤم والانسجام مع الإيقاع العام للمجتمع الإسلامي، ولكنها في نهاية التحليل مساحات محدودة فحسب، وتبقى المساحات الأكثر امتداداً واتساعاً تحمل توحدها وانسجامها.
لقد تمكن الرسول (ص) من تشكيل المجتمع (القدوة)، المجتمع النموذج الذي بلغ مرتقى صعباً لم يكن بمقدور مجتمع في تاريخ البشرية أن يبلغه، وكان هذا يدل على النجاح الباهر لرسول الله (ص) في مهمته من جهة، وعلى قدرة الإسلام من جهة أخرى على تغيير الإنسان والنسيج الاجتماعي بالتالي، أو إعادة بنائهما بتعبير أدق.
ان هذا السموق الذي يتميز به المجتمع الإسلامي الأول، مجتمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، لا يقتصر على حالة دون حالة، ولا يتحدد في نطاق دون آخر. لقد أعيد بناء الإنسان من جديد، وكانت الخيوط المتفرقة التي تنسج رقعة المجتمع الوليد على قدر من المتانة والإتقان بحيث كان بمقدور المجتمع المتمخض عن الحركة الإسلامية أن يصنع المستحيلات، وأن يضرب مثلاً عملياً على قدرة الجماعة البشرية المؤمنة أن تمارس بحق مهمة استخلافها العمراني في العالم.
على كافة المستويات وبتوازٍ ملحوظ كان المجتمع الإسلامي يتحرك إلى فوق، ابتداءً من أولويات التحقق بالمنظور العقيدي للعالم. وانتهاءً بالتنفيذ النادر لمطالب العبادة بمفهومها الشامل، مروراً بمسألة القيم الخلقية، والمعاملات والآداب والسلوك، وبمسألة أخرى لا تقل أهمية، هي قدرة هذا المجتمع على العطاء الدائم، والاستجابة المتواصلة للتحديات، على حماية ذاته من التراخي الذي هو نقيض التوتر، وعلى أن يكون باستمرار قديراً على الفعل الحضاري.
وكان هذا المجتمع (حركياً) بالمفهوم الشامل للحركة، رفض السكون أو الانغلاق منذ اللحظات الأولى، وظل يتقدم صعداً صوب الأهداف المرسومة، وهو في الوقت نفسه يتسع ويزداد امتداداً في الطول والعرض والعمق، لكي ما يلبث بعد فترة لا تتجاوز العقود المحدودة من الزمن، أن يكون أكثر المجتمعات البشرية تميزاً وتألقاً واتساعاً في العالم.
***
إن الإسلام الذي كان يقود هذا المجتمع، ويصنعه، إنما هو دين الحركة الدائمة، والمجتمع الذي يعبّر عنه سوف يتحرك باستمرار دون أن تكون هناك جدران نهائية يقف عندها ويلقي عصا الترحال. ليس ثمة تجلّ للعقل الكلي المتوحد في العالم كما يرى المثاليون، وليس ثمة توقف لصراع النقائض باستلام الطبقة العاملة مقاليد السلطان كما يرى الماديون، إنما هو الجهاد الماضي الى يوم القيامة كما يقول الرسول (ص) جهاد على مستوى النفس هو الجهاد الأكبر، وآخر على مستوى الزمن والمكان هو الجهاد الأصغر، ولن يتوقف الجهاد على جبهتيه العريضتين هاتين ما دامت هنالك نفس بشرية تتشكل بالإيمان فتزداد نضارة وتألقاً، وما دام هنالك ضلال أو كفر أو طاغوت أو ظلم أو مروق على صفحة العالم، يتطلب حركة للوي عنقه، ووقفة عن ابتزاز الإنسان وإصابته بسرطان العجز والعبودية والتآكل والدمار.
***
إن حركة المجتمع الإسلامي ترتبط بقضية الإنسان في الأرض، فما دام للإنسان قضية فإنه يتوجب على المجتمع المسلم أن يتحرك تلبية

للنداء. إنها عملية صياغة مستمرة، أو تشكل مفتوح يمضي على جبهات ثلاث: حركة ذاتية عُمقية لتمكين الإنسان الفرد من المزيد من التحقق بالإيمان، وحركة جماعية أفقية لتمكين المجتمع المسلم من حماية نسيجه وتمتين حبكته، وحركة صوب الخارج، صوب العالم، تحمل بعداً عقيدياً يتوسل بالسياسة أو القوة العسكرية حيناً، وبالكلمة أو الفعل الحضاري حيناً آخر. ومن خلال هذا الجهد ذي المستويات الثلاث يندلح لكي يحتضن مساحات أوسع من المجتمعات، ويضيف إلى كيانه عناصر جديدة فما يلبث أن يزداد قدرة على الفاعلية والعطاء.

***

إننا بمجرد إلقاء نظرة سريعة على حشد من المجتمعات الأخرى، الدينية أو الوضعية، سنرى بأم أعيننا تلك الملامح المتفردة التي تصبغ المجتمع الإسلامي وتميزه عن سائر المجتمعات في التاريخ. قد تكون هناك مجتمعات منفتحة كالمجتمعات النصرانية لكنها ما كانت تلم رؤيتها المتوحدة التي تعرف كيف نتعامل مع العالم كما فعلت مجتمعات الإسلام. وقد تكون هناك مجتمعات شديدة الفاعلية كالمجتمعات اليهودية، إلا إنها ما كانت تملك انفتاحاً يجعلها تسعى للتعامل مع الإنسان في العالم كلّه. ها هنا في تجربة المجتمع الإسلامي نلتقي بالانفتاح والفاعلية والتوحد، ومن ثم تكون القدرة على الامتداد والإنجاز دون أن يحدث ذلك أيما شرخ في القيم التي يقوم عليها هذا المجتمع، إلا في حالات تكاد تكون استثناءات من القاعدة لا يقاس عليها.

ومرة أخرى، فإن الإسلام هو الذي يقود ويصنع، فحركة البنيان الاجتماعي التي تتمخض عنه تحمل قدرتها الدائمة على التجدد والاتساع والإضافة والإغناء، وعلى العكس فإن السكون والإنكماش والتراجع والسقوط كانت غالباً المصير الذي ينتظر المجتمعات التي كان الإسلام فيها يعزل لسبب أو آخر عن ممارسة دوره الأصيل في التشكيل والقيادة.

وما دمنا هنا بصدد تحليل معطيات تاريخنا الإسلامي، وليس عقيدتنا أو فكرنا الإسلامي، فإن الممارسة المشهودة في الزمن والمكان هي الحكم الفصل فيها نحن بصدده: تغرّد المجتمع الإسلامي الأول، مجتمع الرواد الذي صنعه الرسول (ص) على كل المستويات.

ورغم تبدل القيادات الإسلامية، رغم تخلي بعض هذه القيادات عن الإلتزام بدرجة أو أخرى، فإن المجتمعات الإسلامية واصلت التزامها على كافة المستويات: العبادات، المعاملات، القيم الخلقية وآداب السلوك، وصولاً إلى مطالب العقيدة الكبرى: الحركة الجهادية لإسقاط الطاغوت من أجل أن تكون الكلمة أو الدين أو المنهج لله وحده.

ثمة خطأ (تاريخي) كثيراً ما مارسناه: إنه بمجرد ضلال قيادة ما عبر التاريخ الإسلامي، وبخاصة في مراحله الأولى، بمجرد تخليها عن الإلتزام وتسيبها وأنفلاتها، فإن المجتمع الذي تحكمه سيتسيّب وينفلت ويضل الطريق هو الآخر.

ولم يكن الأمر بهذه البساطة أبداً، ولشدّ ما كانت المجتمعات الإسلامية تواصل التزامها وتحققها دون أن يكون هنالك ارتباط مباشر محتوم بين الحاكم والمحكوم، بل قد تجد هذه المجتمعات نفسها في حالة ردّ فعل، أو دفاع عن الذات إزاء حكامها الذين فقدوا الإلتزام كنوع من الاستجابة لتحدّ واضح قد يدفع إلى مزيد من التحصّن ضد عوامل التفكك والتسيّب والدمار.

***

ومهما يكن من أمر فإن المجتمعات الإسلامية كانت تملك القدرة على حماية ذاتها العقائدية لفترات زمنية قد تطول أو تقصر، ولكنها ما كانت ـ بحال ـ بالسرعة الميكانيكية التي تتجاوب كأصداء الأجراس مع أي خطأ أو انشقاق أو تفلّت قد يحدث فوق، في دوائر الحكم والقيادة والسلطان. فرغم الأخطاء التي شهدها عصر أموي أو عباسي أو أندلسي أو مملوكي أو عثماني.. إلى آخره.. على مستوى الحكم، فإن المجتمعات الإسلامية ظلت تواصل مسيرتها العقيدية باذلة جهداً مزدوجاً هذه المرة إذ كان عليها أن تحمي التزامها أولاً، وأن تسعى بهذه الصيغة أو تلك إلى ردّ السلطان إلى جادة الصواب.

فما استسلمت المجتمعات الإسلامية بهذه السهولة، والمؤثرات الإسلامية تشكلها وتؤثر فيها صباح مساء. إن علينا ها هنا أن نلحظ نوعين من القيادات. قيادات فقدت التزامها، بدرجة أو أخرى، لكنها لم تمارس عملاً مضاداً فتحجب حق الإلتزام أو سبله عن المجتمع الذي تحكمه، وهذا النموذج هو الذي يغطي معظم مساحات تاريخنا الإسلامي. وقيادات أخرى، أقل عدداً، أبحرت بالاتجاه المضاد فاستخدمت سائر الوسائل لحجب حق الالتزام وسد الطرق والمنافذ أمام المجتمعات الإسلامية التي تحكمت فيها من أن تمارس حقها في

أن تحيا ـعلى النطاق الإجتماعي على الأقل ـ الحياة التي يريدها الله ورسوله(ص).
وإذا كانت الضغوط المضادة في هذه الحالة الثانية لم تستطع إلغاء الإلتزام الإجتماعي بالإسلام بلمسة سحرية، بل إنها في بعض المساحات ولدت ردود فعل شديدة زادت بعض المجتمعات الإسلامية أصالة والتزاماً، فكيف سنصدق ـإذاً ـ تلك المقولة الخاطئة من أن المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ، حيث ما كان الحاكم يلجأ ـإلاّ نادراً ـ إلى ممارسة ضغوطه المضادة، سوف تنفلت بقدرة قادر من التزاماتها الإسلامية وسوف تخرج بسرعة غير مبرّرة إلى طريق الضلال؟
إننا قد نجد العكس من هذا تماماً، ممارسات تاريخية كانت تعبّر عن رغبة المجتمعات الإسلامية بمزيد من الإلتزام، إنها ما استسلمت بسهولة لتقاليد الحكام بل شقّت طريقها المستقل بمواجهتهم، بل إنها أعلنت ثورتها عليهم من أجل إعادتهم إلى جادة الصواب، أو إرغامهم على تسليم مواقعهم لمن يسلك جادة الصواب وهي كانت تعلم جيداً أنه مهما طال الزمن بقدرة المجتمع الإسلامي على الإلتزام فإن القيادة المنحرفة ستفكك يوما بعد يوم عرى هذا الإلتزام عروة عروة، وسيجد المجتمع الإسلامي نفسه يوماً غير قادر، بهذه الدرجة أو تلك على حماية التزامه بعد أن انهارت خطوط دفاعه الواحدة تلو الأخرى.
إنه من الصعوبة بمكان تصوّر بقاء المجتمع المسلم تاريخياً بدون دولة تسعى لحمايته، أمداً طويلاً، إذ أنه لابد وأن يتعرض لعوامل التحلّل التي سمّمت الأجواء الخارجية، ورغم طول فترة مقاومته إلا أن الجراثيم لابدّ وأن تنقل العدوى إليه فيتجه صوب التحلل والدمار. ولذا كان هناك ارتباط متين في الرؤية الإسلامية بين الدولة والحضارة من جهة، وبين الانسان والمجتمع من جهة أخرى، ولن يتم التوحد والتماسك والتقدم إلا بوجود هذه الأقطاب الأربعة: ابتداء من الإنسان صانع الحضارة، فالمجتمع مشكل قيم الحضارة ومنفذها، فالدولة حارسة الكيان الإجتماعي والحضاري، فالحضارة نفسها التي لن تكسب تفردها وحيويتها ونموها إلا بتوفر الإنسان الفعال (المحسن) والمجتمع الحركي (المجاهد) والدولة القوية (الراشدة).

---

* المصدر: مجلة المسلم المعاصر /العدد٤٤/١٤٠٥